



هل فات زمن الإصلاح الاقتصادي بمصر!؟

بقلم : رائف محمد الويشي

16 أكتوبر 2016

يخبرنا الأطباء المتخصصون في مرض السرطان – وقي الله كل الناس منه - أن هناك عدة أنواع من السرطان الذي يهاجم أجسادنا ، وقد تجمعت في ثلاث مجموعات متقاربة ، وذلك علي الشكل التالي:
*المجموعة الأولى : وتضم سرطان المثانة والكبد واللوكميا والرئة والقولون..
*المجموعة الثانية : وتضم سرطان الثدي وأبيض الدم ..
*المجموعة الثالثة : وتضم سرطان الدماغ والأعصاب..

كما يخبرنا الأطباء المتخصصون أيضا أن مراحل نمو السرطان في هذه المجموعات الثلاث تتكون من مراحل عديدة ، أولها المرحلة الغامضة ، وآخرها المرحلة الرابعة .. لناخذ سرطان الرئة مثلا لكونه الأكثر شيوعا بين الناس بسبب انتشار التدخين ، سنري تطور تلك المراحل علي النحو التالي:

المرحلة الغامضة : وفي هذه المرحلة لا يمكن رؤية المرض بالتصوير أو المناظير ، لكن يتم العثور عليه مختفيا في ثنايا المخاط الخارج من فم المريض عند سعاله ، ويمكن للتحليل المعملّي البسيط أن يرصد ذلك..

المرحلة الصفر : في هذه المرحلة يصبح فيها المرض متواجدا بصورة واقعية ، كخلايا غير طبيعية في الشعب الهوائية للمريض ، لكن ربما يمر عليها التصوير مرورا عابرا لو كان لشيء آخر ، وذلك لكون هذه الخلايا الغير طبيعية تنواري بخبث شديد ، لكن الفني العادي لو خصص رصده وعمله لهذه الخلايا الغير طبيعية يمكن له أن يتعرف عليها بسهولة..

المرحلة الأولى : يكون فيها المرض قد حجز مكانا له وأصبح واضح المعالم ، في هذه المرحلة يكون حجم الورم لا يزيد عن 3 سم ، ويمكن التغلب عليه بسهولة ..

يتم العلاج في هذه المرحلة بنسبة 90 % من السرطان دون إحداث أي أعراض جانبية علي المريض ، وفي أغلب الأحيان يكون الطبيب في هذه المرحلة غير متخصص لأنه لا يحتاج هنا إلي خبرات متراكمة..

المرحلة الثانية : يكون المرض في هذه المرحلة قد زاد حجمه إلي أقل من 5 سم ، لكن الأخطر هو أن المرض يكون قد انتقل إلي القصبة الرئيسية بالرئة وكذلك في الطبقة الأعمق من بطانة الرئة ، في هذه المرحلة ينهار جزء من الرئة بسبب إنتهابه..

المرحلة الثالثة : يزداد حجم الورم في هذه المرحلة إلي أقل من 7 سم ، لكن الأخطر هو أن المرض قد أصبح – في خطوتين - متواجدا في العقد الليمفاوية علي جانب الصدر حيث يتواجد المركز الرئيسي للورم ، وكذلك في القصبات الهوائية الرئيسية والحجاب الحاجز والعصب المتحكم بالحجاب الحاجز وكذلك في جدار الصدر وبطانة جدار الصدر وبطانة الرئة بعمق أكبر ، وأخيرا الغشاء المتحكم بالقلب ..

أصبح العلاج في هذه المرحلة يتطلب أخصائيين مدربين ، وتقل فرص نجاحه عما سبق من مراحل ، ولاشك أن فاتورة التكلفة ستكون عالية ، والأكثر يقينا أن الجسد سيعاني من بعض الآثار الجانبية من العلاج الذي سيتم تناوله..

المرحلة الرابعة : هي المرحلة الأخيرة لسيطرة المرض علي الجسد بصورة تامة ، لقد أصبح حجمه أكبر من 7 سم ، في هذه المرحلة التي تأخذ ثلاث خطوات انتقالية متتالية يكون المرض قد سيطر فيها علي المريض ، فقد زاد من تواجده في القصبة الرئيسية وجدار الصدر والحجاب الحاجز وعصب الحجاب الحاجز والغشاء المحيط بالقلب..

لا تتوفر طرق العلاج الفعالة لهذه المرحلة في أغلب دول العالم ، حتي المتقدم منها ، والصحيح هو أن هناك مراكز علاجية محدودة في فرنسا وأمريكا وألمانيا وإنجلترا يمكن لها أن تتعامل طبييا مع هذه المرحلة ..

لاشك أن تكلفة العلاج ستكون باهظة للغاية ، حتي علي مواطني تلك الدول ، ولا شك أن الآثار الجانبية تتطلب صبرا من المريض وأهله ، والأهم هو أن أمل العلاج سيكون محدودا أيضا ، رغم المجازفة المالية والآثار الجانبية الكبيرتين..

ننتقل الآن إلي الواقع الذي يفرضه عنوان المقال ، وذلك بطرح بعض الأسئلة التمهيدية لروشة العلاج للحالة الاقتصادية التي تعيشها مصر الآن (أي الحالة الرابعة التي سبق ذكرها):

- 1- ماذا لو أصر طبيب المرحلة الغامضة علي إهمال المريض بعلاجه بالشعوذة (بخور وأصابع كفتة) حتي تدهورت أحواله؟!
- 2- ماذا لو أصر طبيب المرحلة الغامضة علي عدم السماح للمريض بالعرض علي طبيب أكثر كفاءة واختصاص منه؟!
- 3- ماذا لو رفع طبيب المرحلة الغامضة السلاح مهددا كل من ينصحه بعرض المريض علي المختصين؟!
- 4- ماذا لو انتقل طبيب المرحلة الغامضة من التهديد إلي الفعل ، فأطلق النار علي المناشدين له ، فزاد عدد الضحايا في غرفة الإنعاش بين قتيل وجريح ، ودفعه خوفه من المحاسبة إلي حجز جميع من بالمستشفى ، فوضع المتاريس علي أبوابها وهدد من شبك الغرفة الأهالي – من خلال ميكرفونه - بتفجيرها إذا جري تحريرها؟!

المتخصصون أخبروا طبيب الفلاسفة وفيلسوف الأطباء أن مشروع حفر التفريجة سيكون وبالا علي مصر ، المريض في هذه الحالة التي بها اقتصاد مصر في عام 2014 لا يريد تفاحا ، بل يكفيه جدا ولسنوات الطعام العادي (المشروعات الصغيرة)!

المشروعات الصغيرة تقلل من حجم البطالة ، ويصعب التأثير عليها سلبا من خلال أي عمل إرهابي لانتشارها ، وعائدها سيرتد سريعا إلي المواطن ودون وسيط ، ولا تشعل الشيطنة بالدولار لانعدام علاقتها به ، بينما تأثير التفريجة اقتصاديا سيكون محدودا وتحت رحمة أي عمل إرهابي سلبا ، وسيزيد من أعباء الحكومة ، وتأثيرها علي الدولار سيكون مدمرا برفعه لأنها ستسحب كل مدخرات الناس من العملة الصعبة لشراء معدات الحفر من الخارج!

رغم كل التحذيرات السابقة لكنه أصر علي رأيه !! لأنه يريد أن يحفر اسمه بجانب ديليبس ، رصيده الخالي من أي إنجاز أعماه فأضحى وأمسي لا يفكر إلا في مجده الشخصي ، وقعت الواقعة وأصبح ما يحذر منه المتخصصون عفريتًا (بل عفاريت) يطارد المصريين ، محصلة كل ذلك هو أن ارتفاع الدولار قد جر معه كل الأسعار إلي سقوف جنونية!

المتخصصون أخبروه أن ترطيب الأجواء الداخلية سيكون له بالغ الأثر علي الاقتصاد ، فالسياحة وحدها في ظل الاستقرار تجلب 14 مليار دولار سنويا (الآن وبعد خراب مالطة تلخ مصر كرامتها من أجل 12 مليار دولار من صندوق النقد) وبالإضافة إلي دخل السياحة الفوري سيكون هناك ما هو أكثر منه ، مناخ الاستقرار سيجذب المستثمر الأجنبي ، وتدفق أموال المصريين العاملين بالخارج سيعزز المركز المالي المنهار بالبنك المركزي!

رغم تحذير المتخصصين الموزون ، لكنه أصر علي التصعيد وتسخين الأجواء بمواد شديدة الاشتعال ، فضاعف حجم السجون في عهده ، وتكلم العالم عن أهوال المعتقلين في سجون مصر الذين يزيد عددهم عن مائة ألف ، وأصبحنا مسخرة الأمم في أحكام الإعدام بالجملة ، وتفرغت الشرطة في إهانة وترهيب الناس وزاد فسادها ، وتحول الجيش إلي قوات شرطة وترك تدريباته إلي أعمال لا تتوافق مع ما أنفق عليه ، فتعرض إلي عمليات مهينة علي أيدي عصابات إرهابية ، فالفتنة كانت نائمة وعمليات القتل العشوائي التي أمر بها أيقظتها ، فزاد أنفاق الجيش ، وتراجع تدريبه ، وثقلت أعباؤه ، وانخفضت معنوياته ، وزادت تضحياته ، وكانت المحصلة لهذه السلبيات كلها أن الموقف الاقتصادي بمصر قد زاد تعقيدا!

المتخصصون أخبروه أن مجنوننا فقط هو من يأتيه 30 مليار دولار من خلق الله المحسنين لإخراجه من الإنعاش فينفقها في سنة واحدة علي معدات تسليح لا حاجة أنية لجيشه لها ولا تتناسب مع حجم الكارثة التي نحن بها ، الأمة منكوبة ومنكفئة في غرفة الموت السريري علي وجهها من أعماله ، لكنه مضي بالقطار محترقا رغم الصرخات والمناشادات!

الأخوة العرب - جزاهم الله خيرا - صدقوه ، فقدموا المبلغ المذكور من قوت شعوبهم ظنا منهم أن المعاناة سترحل عن شعب مصر ، فخدعهم - كما خدعنا من قبل - واشتري به سلاحا ، ولا نعرف من سيكتوي بنار هذا السلاح غير هذا الشعب! أدت كل الخطوات المذكورة إلي دخول مصر إلي المرحلة الرابعة من السرطان ، سيكون لذلك نتائج واضحة المعالم ، أقل هذه النتائج هي عرض الشرف القومي نظير كسرة خبز ، وأعلي هذه النتائج هي دخول البلاد إلي التشرذم والافتتال!

* طبيب الفلاسفة يصرح من شبك غرفة المستشفى في الميكروفون - والسلاح في يده - بتعبيرات تثير إشمزاز كل عاقل !!

* يهدد الصامتين حول المستشفى بأنه قادر وفي ظرف ساعات ست علي الضربة القاضية!

أما آن له أن يضع سلاحه وميكروفونه جانبا ويستمع لصوت العقل؟!!

أما آن له – ورفاقه - أن يرحموا المريض وأهله؟!!

أما آن له أن يفك أسراه؟!!

أما آن له أن يوفي بوعده حين قال بأنه لا يخشي المحاكمة؟!!

أما آن له – ورفاقه – أن يكفوا عن ترديد عبارة " نحن أو الخراب " التي يكثرون من ترديدها؟!!

حتي لو أطلقت سراح المحجوزين في المستشفى!

حتي لو رفعت يديك وسلمت نفسك للمحاكمة!

حتي لو تجاوزنا عن قتلاك وجرحاك!

حتي لو عرضنا المريض علي المتخصصين للعلاج من تلك المرحلة الرابعة التي أدخلته فيها!

فإن أمل العلاج سيكون مكلفا للغاية ونجاحه شبه معدوم ، بسبب المبالغة في أساليبك السابقة الذكر!

لكن الأمل يبقي في مغادرتك للمكان بلا ضجيج ، كي يموت المريض – ومن معه - بلا عنف ولا دماء ، أي في هدوء يحترم إنسانيتهم ، وليس

بالسلاح الذي تهدد به الجميع ، لعل هذه الخطوة تكون لك شافعا يوم الدين عن الدماء التي أزهقت بغير حق ! الأمر جد خطير ونرجوك أن

تأخذ نصيحتي علي محمل الجد ، وأدرك أن ضباطك سيطلعوك علي هذا المقال !

رائف محمد الويشي

ميزوري – أمريكا

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي:

www.thowarmisr.com